عبد الرزاق عبد الواحد

مصادرة منشور سري

ـ في جوازك حين عبرت الحدود
ـ هل عبرتُ الحدود ؟
ـ أنت محتجز للأجابة لا للسؤال هنا .
في جوازك هذا
لا علامة فارقة فوق وجهك
الشعر أسود
عينان صافيتان
وعمرك ..
حتى تلاوة هذي السطور
ثلاثون عاما .
هل عبرت الحدود بهذا الجواز ؟
ـ اذا كنت تعني ..
ـ عبرت الحدود بهذا ؟؟
ـ نعم .
ـ أنت متهم للقرار بتزوير وجهك اجمعه
يسمح الان ان تتكلم ما شئت ،
لكنما في حدود الدفاع عن النفس
ـ اطلب مرآة ابصر فيها وجهي
ـ مرفوض .
نحن نبصره عنك
ـ لكنكم لن تروا منه ..
ـ انّا نقاضيك وفقا لاعيننا نحن
ـ معذرة ..

سأحاول رؤيته وفق اعينكم :
كان عمري ثلاثين عاما
فاصبح خمسين
عيناي صافيتين
فأصبحتا مثل لون التراب
وشعري اسود
فابيضّ
هل هذه صورتي الآن ؟
ـ وجبينك ؟
ـ ماذا به ؟
ـ لو تحسَّسته
ـ هل تفضّن ؟؟
لا بأس
ـ صوتك ..
ما كنت ترفعه هكذا
ـ كان يرفعه بين قصف المدافع فاعتاد
ـ لا .
لم نكن نتكلم في حضرة النار
لكننا بعدما سكتت ..
ـ أنت متهم باعترافك للمرة الثانية
ـ بالتمرد ؟
لا بأس ..
اسألكم لحظة اخلع الثوب
ـ تمنع كلّ ضروب التعري هنا .
ـ ان لي حرمة تحت هذا القميص
المزّق
شاهدا لم يُسجَّل بهذا الجواز
دفعت به رئتي ثمنا
وأتتنا اوامركم تمنعون دخول الجراح
قيل يُستنطق الجرح حتى يعاف
مروءته
ثم يُركل مثل النفاية بعد ادانته

لوحة جانبيه :
هل سلّمت المامور المخزن خوذتك الحربية ؟
صفّ رصاصك ؟ قمصانك ؟
جرحك ؟؟
ضع جرحك فوق الامتعة الاخرى وتسلّم ايصالا .

فتعمدت تهريبه تحت ثوبي ،
ما كان لي ان تروه فيؤخذ متهما
غير اني سأكشف عن وجهه الان
ها هوذا
تستطيعون ايداعه السجن
لست اخاف عليه
فقد رسم ابني هويته في
دفاتره كلّها
فأنا الآن متهم بشهادة جرحي للمرة
الثالثة
في اذنيّ ملايين الاصوات
من منكم يقدر أن يفرز صرخة محمود
جاري
عن صلية عشر رصاصات غاصت فيه
من البلعوم الى منتصف السُرّة ؟
وحدي املك هذين الصوتين معا
املك لحظة لا يبقى من صوت القاتل
الا صوت المقتول
لحظة صار غيابك يا محمود حضورا
في كل الساحات
وفي كلّ الاوجه
وحدي املك صوتكما انت وعشر
رصاصات في اذنيّ
مزيجا .. غبشا لا ينفصل الفجر عن
الليل ولا الموت عن الميلاد
ولا الثورة في جسد عن عشر رصاصات
فيه يشعشع
منها الدم .

من يحمل عني هذي الاصوات ؟
من يخلع من اذنيّ زعيق الجرحى
وصفير الرشاشات ؟
القوا القبض على هذا الشاهد غير
المرئي اذن
وليستنطق اطفالك يا وطني

ولدي ..
يا ولدي الحامل عني زهو دفاتره
كنت ادفع دبابتي في وجوه التماسيح
ملغومة بالهلاهل
ملغومة بالاهازيج
بالشعر
ملغومة بالتي طوّحت بعباءتها
وهي تردس
« هزّيت ولوليت لهذا »
كنت هذا الذي زاحمت فيه كلّ
الشماتة والموت
ادفع دبابتي في الجحيم
وفي اذني عراضة امي تطوّح عبر
المدى
بعباءتها
حجم موتي هذا اريدك ان تهزجي لي
ان تزرعي راية حجم موتي على سطح
بيتك
ترفع للموت قامتها
سجّلوا اذنيّ شهودا عليّ
اين دبابتي ؟
ـ لا سؤال .
ـ ذهبت هي ايضا تدافع عن نفسها؟
ـ لا سؤال .
ـ ولكنها شاهد في دفاعي
ـ قيد الترميم
اذا شئت اتيناك بها عامرة .
ـ هاتوها .
ادخلوها هنا اتأمّلها
اتقرّى مكان اصيبت لأجلي
أمرّغ وجهي على درعها
وسأسأله
سوف ينطق مجرى دمي فوق
قبعة الدرع
ينهض محمود من قاعها
ان محمود فاض على سعة القاع فيها
انت ايتها الاخت
يا شاهدي وشريكي
اعلم حين تجيئين انك لا تنكرين معالم
وجهي
كما يفعل الما راوا كيف يتسع الكون
في لحظة
ثم يجمع اطرافه كلّها في رصاصه
ما راوا كيف تلغي الوجوه معالمها
لحظة الموت
يلتبس الوجه بالوجه حتى لتصبح
دبابة رجلا
ما راوا كم يغيرنا الموت ايتها الاخت
لكنهم غيّروا وجهة الموت ..
هم غيروا وجهة الموت
حتى لينكر واحدنا درب صاحبه
اي شيء ترانا نقول اذا ما التقينا
فأبصرت شعري قد ابيضّ
عينيّ لون التراب
وابصرت وجهك يلمع مثل بنات
الهوى ؟
اي ذاكرة سوف نوقظها بيننا
دون ان تتسلّق غربتنا فوق كل
الحروف
وتلتف حدّ اختناق اعزّ الحكايات؟
ارفضها .
تزوّرون شاهدي عليّ
ثم تسألونني أن ارتضيه هكذا
مزوّرا
وتعلمون بعد ان ادخلتموها مصنع
النسيان
انكم سلبتموها كل كبريائها
اقسم انها اذا راتني الآن اشاحت
خجلا بوجهها
او اطلقت نيرانها عليّ
ـ فأنت اسأت لها
ـ قد فعلت .
عبرت بها كل نار الجحيم
وكنا معا باسم كلّ الحضارات
نضرب
كنا معا باسم كل الذين سيأتون نعبر
نهر الجراح القديمة
نصنع معجزة قدر ما يستطيع
عريف ودبابة
اتتنا لعبة الموت ..
ويوم اصيبت
دفعت لها رئتي
مدّ محمود من صدره معبرا
للرصاص على درعها
انها تتذكر كيف قضينا نهارا بأكمله
ننزف الدم
نحن الثلاثة
كنا ثلاثتنا لحظة الموت
نشعر اننا نخط لبعض الذين
سيأتون اسماءهم
باسم كلّ الحضارات الغي محمود
لم يبق منه سوى دفتر
يتدافع اطفاله كل شهر بابوابكم
بصموا فوقه عدّ ارغفة الخبز
حتى ملامحهم وشمت بتواقيعكم
باسم كلّ الحضارات افرغ صدري
من رئة
واقر بلا ندم انني لست احتاجها
الآن
في مثل هذا الهواء
باسم كلّ الحضارات رمّمتم الآن
دبابتي بعد سحب هويتها
فهي خاوية تستعدّ لكل الهزائم
لست اعلم ايتها الاخت ان كنت ..
عذرا
ولو مرة تحسنين البكاء
وتقولون لي شعرك ابيضّ
اتهم الآن مائة مليون مستمع
لخطاباتكم
انّ أرؤسهم لم تشب
أن أعينهم لم تثب من محاجرها
أيها السادة الكان في وسعهم كل شيء
لو انّ صواريخهم لم تقف في مدار
او انهم ..
ـ هل سمّيت مدارا للدوله ؟
ـ لا .
ـ اياك وانصاف الكلمات اذن .
ـ من منا يتعمد ان يخطيء فهم الاخر؟؟
ـ لا سؤال .

وليكن ما تفوه به واضحا
في حدود الدفاع عن النفس،
سنصحح بعض السهو الوارد في
أقوالك
ـ أرفض ،
انهما مساحتان للضياء والظلمة لن
ندخل
فيهمـا معـا
انا اعرف دربي الى البقعة السوف
أدخلها
لن تكونوا دليلـي
اترون لو أنكم الآن تدعونني من جديد
الى الحرب
ارفض ؟؟
هيهات
سأحارب حتى اقايضكم كلّ هـذي
الملامح
يهتف بي هـاتف :
لا تمت
وأموت
افضّض ارؤسكم شعرة شعرة
كنت أحمل محمود والدم ينهلّ مـن
عشر شتلات نار بأضلعه
أتوسّل في وجهه
لا تمت
سوف تسألني عنك كلّ عيون
صفارك محمود ..
لكنه مات في لحظة
كنت اخلع جسمي واسحب محمود
والنار تأكل دبابتي
أتخبط مستوحدا بين موتيهما
غير انـي كابرت
كنا ثلاثتنا طرف الدولة الما يزال يكابر
فـي المستشفى ،
قالوا الغى الطرف الآخر للدولة
كلّ القتلى
ومحا اسماء الآتين
لم أصدّق ،
لقد كنت احسبنا دولة حين كنـا
نخطّ على
بقعة الضوء أسماءهم
ثم صدقت ..
حين نظرت لأطفال محمود
صدقت
حين رأيت عيون رفاقي صدقت
وحين وصفتم معالم وجهي آمنت
اني هنا طرف
اننا حين كنا هناك نقاتلهم
طرفٌ
ان اطفال محمود
دفتره ،
طرفٌ
فأنا ما سمّيت مدارا للدولة
لم أخطيء فهم الطرف الآخر للدولة
انهما مساحتان للضياء والظلمة لـن
ندخل فيهمـا
معـا
ـ من اجلك أيضا ..
ـ أرفض
او .. لا أرفض
ماذا يعني أن اسأل عن هذا ؟
لو سئلت غداة خرجت الى الموت
ـ هل كنت تختار ؟؟
ـ لا .
كنت اختاركم هدفي اولا
ـ أنت تقتل نفسك
ـ اني اسهّل فيّ مهمتكم
أيها السادة التتبدل حتى عناويـن
اطفالهم
وحدود مدارس اطفالهم
دون ان تتبدل يوما ملامحهم
انني اتساءل
ما كان لي وأنا بين موتين
موت تراقبني فيه أعين كلّ الذين
اخاف عليهم
شماتة من يشمتون
وموت اضاف به رقما في حساباتكم
للهزيمة ؟
كنت اراقبكم تخلطون دمي بين ماءين
هذا نذرت له عطش العمر
جمّعت أسماء اهلي على شفتيّ
وهذا أحاذره
واشمّ الخيانة
رائحة ابني ذبيحا
واوصال اهلي مموهة فيه.
صار دمي خائنا وشهيد
كوثرا وصديد
وأنا اتساءل :
هل أرد الماء
ام أتجنّبه ؟
حيرة .. حيرة .. حيرة العمر
باسم الحضارة قدمتموني لمذبحها
انكم ايها السادة الما تبدل يوما ملامحهم
قد بذلتم كثيرا لاجل الحضارة
اسماؤكم لن يمرّ عليها الذين سيأتون
دون الوقوف على كلّ احرفها
يومهـا ،
سيسير بدبابتي كل تاريخها نحوكم
يومها ستدور بمدفعها حولها دورة كاملة
قبل ان تدخل المعبر السهـل خلف
الحدود
ستكون البداية افضل مما بدانا
تكون البدايـة افضل مما ...
ـ نصّ قرار التجريم
ـ تكون البداية ...
ـ باسم الدولـه
صادرنا هذا المنشور السرّي
وأمرنا بأحالة اذنيه وهذا الجرح
المزعوم الى التحقيق
والقاء القبض على كل الكلمات
وكل الافكار المنقولة عنه
وغير المنقولة .
التوقيع الكيلومتر
١٠١
ـ سيدي
ان في الباب عشرين الفا
وجوههمو كلها وجه هذا .

بغداد